البدوي على شرقي الاردن ، وللتهديد البدوي للمناطق الزراعية والحضرية · وهو ان شرقي الاردن قد شكلت الطريق الرئيسي للحج الشامي وللتجارة مع الجزيرة العربية ، فضلاً عن انها كانت في الجنوب معبرا رئيسيا للحج المصري الى الجزيرة · وكانت للسيطرة على هذا الطريق ، اهمية اقتصادية بالغة الاهمية لجملة من القبائل التي تهيمن على امتداد الطريق ، او تتصارع للهيمنة على الطريق باكمله · ومن الوقائع التاريخية يمكن استخلاص مدى الاهمية الاقتصادية لهذه الهيمنة ، اذ مع فشل السلطات العثمانية في السيطرة على طريق الحج والتجارة الى الجزيرة ، ومع تسليمها حماية هذه الطريق للقبائل ، او القبيلة الاقوى ، كانت السلطات العثمانية مضطرة الى دفع اعطيات سنوية تتراوح بين ٦٠ الف و١٠٠ الف ليرة عثمانية لقاء حماية القوافل (٨) ، كما كانت القبائل المسيطرة تفرض اتاوات على هذه القوافل لقاء مرورها في مناطق نفوذها ، والى الانتفاع من تأجير دوابها وابلها كوسائل نقل لهذه القوافل ، مما كان يعود على القبائل المهيمنة بفوائد كبيرة · ولهذا السبب كان صراع السيطرة على هذه المنطقة يأخذ طابع الحرب (٩) ، وساعدت الدخول

---

(٨) راجع منيب الماضي وسليمان الموسى : تاريخ الاردن في القرن العشرين ·

(٩) مبدئيا يهمنا الاشارة الى فساد وقصور التصور الذي يبحث عن تفسير ظاهرة الغزو في حقل العادات الاجتماعية والسيكولوجية للبدو · فخلاف هذا الاعتقاد المثالي نجد مفتاح تفسير الغزو في الحقل الاقتصادي ، فمن جهة واحدة ينتج الغزو عن محدودية الموارد الطبيعية ومحدودية تجديد انتاجها قياسا بوتيرة تجديد النوع والسكان ، في ظروف تدني مستوى تطور القوى المنتجة وبدائيتها · الامر الذي يفسح المجال امام نشوب الصراع على الارض والمياه والموارد الاخرى (الثروات الطبيعية ووسائل الحياة) · كان هذا هو اساس الهجرات البدوية من الجزيرة العربية الى شمالها ولا سيما الى سورية وفلسطين · وهي هجرات متواترة تاريخيا (يراجع في هذا الصدد تاريخ شرقي الاردن وقبائلها ، المصدر المشار اليه آنفا ص ٢١٣ ـ ٢١٩) ·

ومن جهة ثانية نجد ان البحث في الاساس الاقتصادي للغزو يتطلب دراسة تطور القبائل المعنية ، فهناك الغزو الذي تدفعه الحاجة ، وهناك الغزو الذي يفسره السبب السابق : محدودية الموارد والقدرة على تجديد الانتاج البسيط ، كأن ترحل القبيلة المغزوة والمنهوبة لتغزو القبيلة الاضعف او تغزو القرى الفلاحية ، كي تستعيد ما فقدته وكي تواصل حياتها ·

وهناك القبيلة التي يدفعها الى الغزو ومد نطاق نفوذها ، تنامي مطامح شيوخها للاستئثار بفوائض انتاج الفلاحين والقبائل الاخرى او بانتاجهما الضروري · هذه العملية تعكس غالبا صيرورة شيوخ القبيلة فئة متميزة ، اي انفصالها عن القبيلة من حيث تمتعها بصفة الملكة الخاصة لوسائل الانتاج (قطعان الماشية والابل ، اراضي زراعية) الامر الذي يمهد لانتقالها الى زعامة شبه اقطاعية او حتى انتقالها فعليا الى الزعامة شبه الاقطاعية · الغزو ها هنا يكتسب طابع الحرب ، اي صفة طبقية · وغالبا ما تكون هذه الحروب مغلفة ومموهة بغلاف العادات والتقاليد القديمة ذات الاصل المشاعي ـ الرعوي ·